بسم الله الرحمن الرحيم

*** رسول الله رحمة الله للعالمين ***

كلمة الدكتور سالم سلامة عضو مجلس إدارة رابطة علماء فلسطين

المنعقد بجامعة الأقصى بالتعاون مع رابطة علماء فلسطين

الأحد ١٢/صفر الخير/١٤٢٧هـ الموافق ١٢/ آذار مارس/٢٠٠٦م

قال تعالي :(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الانبياء:١٠٧)

إن بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم كانت ميلادا للرحمة ، وتفجيرا لبراكين المحبه والوئام والتعاون ، وانتشالا للبشرية من دركات الإلحاد، وعقائد الأهواء ، ،تشتيتا لشمل الجاهليه الظلماء التي تعددت فيها الملل والنحل.

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله أرسل نبيه محمدا صلي الله عليه وسلم لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم ، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به، والعمل بما جاء من عند الله الجنه ، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان يتنزل بالأمم المكذبه رسلها من قبله .

يقول ابن القيم رحمة الله ، إن الآية علي عمومها تحتمل وجهين، الأول: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته. أما أتباعه فنالوا بها كرامه الدنيا والآخرة ، وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجل قتلهم ، وموتهم خيرا لهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة ، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له ، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم، وأموالهم وأهليهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ، فأصاب كل العالمين النفع برسالته. الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخري ، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها.

أما المؤمنون فيقول سبحانه وتعالي ممتنا عليهم :(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (التوبه١٢٨) لقد أنقذهم رب العزة والجلال بهذا الرسول من براثن الشرك، فكان يألم لألمهم ، ويرأف بهم ، ويحرص كل الحرص علي هدايتهم ورجوعهم إلي الحق، ويعز عليه بقاؤهم في الشقاء وترديهم في مهاوي الضلال.

فكان من شدة رحمته بالمؤمنين سواء أكانوا أحرار أم عبيدا إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها .

ويأتيه رجل يشكو إليه ويقول: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداه من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ثم قال إن منكم منفرين فأيكم ما صلي بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة.

وها هو يطبق علي نفسه ما قال فيقول: إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهيه أن أشق علي أمه " وفي رواية أخري :"قال إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه"

وهل في سجل المفاخر الإنسانية أرحم من قلب يرحم أعداءه الذين ساموه الغدر والخيانه، والقتل والطرد بقوله بعد أن فتح الله سبحانه وتعالي عليه مكه المكرمة : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا: أخ كريم وابن آخر كريم قال :اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وقد كان قلبه الرحيم يفيض رحمه ورأفة في أعصب الساعات عندما حاول المشركون قتله في أحد، ونظر إلي زهرة أصحابه فوجدهم مضرجين بدمائهم علي الثري ، ونظر إليه أصحابه فإذا خده شق ورباعيته قد كسرت ، وفي هذه الأزمة قيل له ادع علي المشركين فإذا بصاحب القلب الذي فاض رحمة ورأفة يدعو للمشركين بدلا من أن يدعو عليهم فيقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون

وقد وضع رسول الله صلي الله عليه وسلم دستورا للسلم والحرب مازال الناس في حاجة إلي فقهه فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا أمر أميرا علي جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تتملوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلي ثلاث خصال أو خلال فأتيهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلي الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وكف عنهم ثم اجعهم إلي التحول من دارهم إلي دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فقلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما علي المهاجرين فإن أبوا أن يتحلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري علي المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمه الله وذمه نبيه فلا تجعل ذمه الله ولا ذمه نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمه أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمه رسول وإذا

حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم علي حكم الله فلا تنزلهم علي حكم الله ولكن إنزلهم علي حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا .

وقال في شأن العبيد ومعاملتهم : قال في حجة الوداع أرقاءكم أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون فإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم.

وعن معامله وإماء فقد ورد عن النبي صلي اله عليه وسلم أنه قال ثلاثه يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي صلي الله عليه وسلم فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده.

وفي حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا أصلح خادم أحدكم له طعامه فكفاه حره وبرده فليجلسه معه فإن أبي فليناوله أكله في يده.

كيف عامل الإسلام أهل الذمة:

ذكر أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأي رجلا من أهل الكتاب يسأل الناس الصدقة ، فسأله لم ، فقال : حتي أدفع الجزية . فقال عمر رضي الله عنه ليس من الانصاف أن نأكل شبابه ونترك شيبته ، وأخذه إلي بيت المال وأمر أن يصرف له ولأمثاله رزقه، ويسقط عنه الجزية .

كيف عامل الإسلام بقية المخلوقات :

ووصلت رحمته إلي كل العالمين ، فها هو يرحم الحيوان فيقول صلي الله عليه وسلم :إن الله كتب الإحسان علي كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته . فهذا فيما يؤكل لحمه.

وقد حرم علينا إيذاء الحيوان أو قتله صبرا فقد قال صلي الله عليه وسلم عذبت امرأة في هره سجنتها حتي ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

حنين الجذع: أخرج البخاري رحمة الله عن ابن عمر رضي الله عنهم كان النبي صلي الله عليه وسلم يخطب إلي جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية للترمذي أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يخطب إلي جذع فلما اتخذ النبي صلي الله عليه وسلم المنبر حن الجذع حتي أتاه فالتزمه فسكن.

تسليم الحجر:

وأخرج الترمزي زحمة الله عن جابر بن سمره قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الأن.

وما أكثر المواقف التي تجلت فيها رحمة رسول الله صلي الله عليه وسلم لقد اتسعت وانفسحت حتي شملت الجوانب العديدة من الحياة ، فوسعت المسلمين وغير المسلمين واتسعت للأصدقاء والأعداء، وشملت الأحرار والأرقاء، وامتدت إلي الكبار والصغار، واستوعبت الأناسي والحيوان ، رقك الغريب والبعيد، الراشد والشارد، فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الرحمة .

وإن الذين يؤذون الرسول فقد صلوا أنفسهم في عداوة الله سبحانه وتعالي وقد أخبرنا بقوله :"إن الذين يحاورن الله ورسوله أولئك في الأولين"

ابن تميمة : كنا تستبشر بالله إذا ما سب الكفار رسول الله أو اعتدوا عليه.

السلام هو الأصل، والحرب عمل طارئ مؤقت ، حرص علي رعايه الكرامة الإنسانية قبل الحرب ، وفي أثنائها وبعدها ، لذا سن من النظم والقوانين ما يكفل التخفيف من ويلات الحرب وأنات الجراح ، وآلام التعذيب والقهر فجعل للحرب آدابا وأحكاما تصاحبها قبل نشوئها إلي ما بعد نهيتها ، وأوجب علي المسلم الالتزام بها.

الرحمة قبل الحرب :

حرص الإسلام علي أن يسود السلام والأمن جميع الناس مؤمنهم وغير مؤمنهم ، ولذا لم يبدأ الإسلام بالحرب ابتداء بل دعا الناس إلي الإيمان بالله وأركان دينه، فمن لم يقبل عرض عليه الجزية ليستمتع بكل ما يستمتع به المسلم في أرض الإسلام من المرافق العامة، فإن أبي فينبذ إليهم علي سواء ، ولا يؤخذوا علي حين غرة.

الرحمة في أثناء الحرب:

حرم الإسلام علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم قتل الذين ليس لهم علاقة تنظيمية في الجيش المحارب من الرجال أو النساء أو الأطفال ،فقد نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان .

وقال :"لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولاتغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا وأحسنوا أن الله يحب المحسنين".

وأين هذا من حروب اليوم التي لا تبقي ولا تذر ، بل أقيمت المذابح الجماعية لالآف من أهل القري و المدن ، مثل دير ياسين، وصبرا وشاتيلا وقانا في لبنان ، وتل الزعتر في سوريا ، والمجازر التي تقيمها قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني في العراق ، كما لا ننسي المذابح في الهند والباكستان قبل وفي أثناء الانفصال . أما تدمير المدن علي رؤوس أهلها وإهلاك الحرث والنسل في هيروشيما وناجازاكي أكبر مثال علي ذلك .

وأسلحة الدمار الشامل، والتقليدية وغير التقليدية من ذرية وهيدروجينية الخارقة ، مع أن الإسلام نهي عن التعذيب بالنار.

كما نهي رسولنا صلي الله عليه وسلم عن المثله بقوله :"اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تعذبوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا .." وقد نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن النهي والمثله ."وما رآه العالم أجمع علي شاشات التلفاز من تعذيب وإهانه واعتداء علي الأعراض في سجون العراق (أبي غريب) وسجون الاحتلال الإسرائيلي (نفحة والمجدل وعتليت..) ليخالف كل الأعراف والأخلاق.

الاستجابه إلي السلام إن لاحت بارقة أمل معه (وإن جنحو للسلم فاجنح لها)

الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء (فإن انتهوا فلا عدوان إلا علي الظالمين).

عدم قتل رسول العدو أو مفاوضه....